[٦٥] بخيل وبخيلة

حكى بعضهم قال : كنت فى سفر ، فضللت فى الطريق فرأيت بيتاً فى الفلاة فأتيته ، فإذا فيه أعرابية ، فلما رأتنى قالت : مَن تكون ؟ قلت : ضيف ، قالت : أهلاً ومرحباً بالضيف ، انزل على الرحب والسعة . قال : فنزلت ، فقدَّمت لى طعاماً فأكلت ، وماء فشربت ، فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت فقال : من هذا ؟ فقالت : ضيف ، فقال : لا أهلاً ولا مرحباً ، ما لنا وللضيف ، فلما سمعت كلامه : ركبت من ساعتى وسرت ، فلما كان من الغد رأيت بيتاً فى الفلاة ، فقصدته فإذا فيه أعرابية فلما رأتنى قالت : مَن تكون ؟ قلت : ضيف ، قالت : لا أهلاً ولا مرحباً بالضيف ، ما لنا وللضيف . فبينما هى تكلمنى إذ أقبل صاحب البيت ، فلما رآنى قال : مَن هذا ؟ قال : ضيف ، قال : مرحباً وأهلاً بالضيف . ثم أتى بطعام حسن فأكلت ، وماء فشربت ، فتذكرت ما مرَّ بي بالأمس ، فتبسمت ، فقال : مِمَّ تبسمك ؟ فقصصت عليه ما اتفق لىَ مع تلك الأعرابية ، وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته ، فقال : لا تعجب : إن تلك الأعرابية التى رأيتها هى أختى وإن بعلها أخو امرأتى هذه ، فغلب على كل طبع أهله .

[٦٦] قصة المرأة التي عجب الله من صنيعها

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى مجهود .. فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء .. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك .. فقال ﷺ من يضيفه يرحمه الله ؟ فقام أبو طلحة فقال : أنا يا رسول الله .. فانطلق به إلى رحله .. فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ فقالت : لا إلا قوت صبيانى ، قال : فعلليهم بشيء ثم نوميهم .. فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل .. فإذا أهوى بيده ليأكل قومى إلى السراج كى تصلحيه فأطفئيه .. ففعلت ... وقعدوا وأكل الضيف .. وباتا طاويين .. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال له ﷺ : « **لقد عجب الله البارحة من صنيعكما لضيفكما** » ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [1] .

(١) سورة الحشر الآية « ٩ » .

[٦٧] اعترافات ... !!! [١]

أ – فرقتنا المعصية :

كنا معاً فى أطيب حال ، وأهنأ بال ، زوجين سعيدين ، متعاونين على طاعة الله ، وعندنا القناعة والرضا ، طفلتنا مصباح الدار ، كركراتها تفتق الزهور ، إنها ريحانة تهتز .

فإذا جنَّ علينا الليل ونامت الصغيرة قمت معه نسبح الله ، يؤمنى ويرتل القرآن ترتيلا ، وتصلى معنا الدموع فى سكينة وخشوع ، وكأنى أسمعها وهى تفيض قائلة : أنا إيمان فلان وفلانة .

وذات يوم ، أردنا أن تكثر فيه الفلوس ، اقترحت على زوجى أن نشترى أسهماً ربوية ، لتكثر منها الأموال ، فندخرها للعيال ، فوضعنا فيها كل ما نملك حتى حليّ « الشبكة » .

ثم انخفضت أسهم السوق ، وأحسنا بالهلكة فأصبح الدينار فلساً وشربنا من الهموم كأساً ، وكثرت علينا الديون والتبعات ، وعلمنا أن الله ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [٢] .

وفى ليلة حزينة خوت فيها الخزينة تشاجرت مع زوجى ، فطلبت منه الطلاق ، فصاح : أنت طالق – أنت طالق – ، فبكيت وبكت الصغيرة ، وعبر الدموع الجارية تذكر جيداً : يوم أن جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية .

---

(١) سرى للقطان .

(٢) سورة البقرة الآية « ٢٧٦ » .

ب - طلقني ليلة العرس ... ! :

كنت مولعة بحفلات الأعراس ، وأنا امرأة متحجبة ، زوجي متدين ، وكثيراً ما كان يحذرني من الاختلاط في حفلات العرس .

فإذا كان الجميع نساء نزعت حجابي ، وشاركت في الرقص والغناء ، إني جميلة وأحب أن أسمع النساء في تلك الليلة يقلن : إنها أجمل من العروس ، فأشبع غروري .

وكان زوجي يوصيني كل مرة بعدم نزع حجابي خارج بيتي ، ويذكرني بحديث الرسول ﷺ : « **أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين ربها من ستر** » .

وذات يوم سافر زوجي إلى إحدى دول الخليج ، وهناك في إحدى الديوانيات تجادل شابان حول بنات دول الخليج أيهن أجمل ؟ ، فقام أحدهم وأحضر شريط فيديو خاص ببلدي ، اشتراه سراً بثمن باهظ ، فيه إحدى حفلات العرس ، وفوجئ زوجي إذ رآني أغني وأرقص وألفح بشعري ، ونصف صدري عاري .

فأخذ الرجال في الديوانية يتشهون على مفاتني ، فلم يتمالك إلا أن خرج مغاضباً ، وعاد من سفره ونشبت بيني وبينه معركة انتهت بالطلاق ، وأنا الآن معذبة وتعيسة تطاردني الخطيئة في كل مكان [١] .

---

(١) سرى : للقطان .

جـ - أيام العز :

وصلت رسالة إلى خليفة المسلمين فى الأندلس أيام التقدم العظيم التى وصلت إليه حضارتنا - جاء فى هذه الرسالة - :

من جورج الثانى ملك انجلترا والسويد والنرويج ، إلى الخليفة ملك المسلمين فى الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء آثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أركانها الأربعة .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأمير « دوبابت » على رأس بعثة من بنات أشرف انجلترا للتشرف بلثم أهداب العرش « بتقبيل أياديكم تعظيماً » ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضوع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وعطف من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن ، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع

جورج . م . أ .

فوا أسفاه على تلك الأيام الخوالى التى كنا فيها سادة العالم يوم التزمنا بالإسلام عقيدة ومنهاج عمل وحياة .

[٦٨] - (أ) - عقوبة سب الصحابة

قال القيروانى : أخبرنى شيخ لنا من أهل الفضل قال : أخبرنى أبو الحسن المطلبي إمام مسجد النبى ﷺ ، قال : رأيت بالمدينة عجباً ، كان رجل يسب أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – فبينما نحن يوماً من الأيام بعد صلاة الصبح إذ أقبل الرجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك ؟ فقال : رأيت البارحة رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه بين يديه ومعه أبو بكر وعمر ، فقالا : يا رسول الله هذا الذى يؤذينا ويسبنا ، فقال لى رسول لله ﷺ : « من أمرك بهذا يا أبا قيس » ؟ فقلت له : علي رضي الله عنه ، وأشرت إليه ، فأقبل على عليّ رضي الله عنه بوجهه ويده وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها إلى عينى فقال : إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك ، وأدخل أصبعيه فى عينى ، فانتبهت من نومى وأنا على هذه الحال ، فكان يبكى يخبر الناس وأعلن التوبة .

(ب) ذبح في المنام

ذكر ابن القيم فى كتابه الروح .. نقلاً عن بعض السلف قال : كان لى جار يشتم أبا بكر وعمر – رضى الله عنهما – فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولنى فانصرفت إلى منزلى وأنا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء ، فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت : يا رسول الله فلان يسب أصحابك ، قال : « من أصحابى ؟ » قلت : أبا بكر وعمر ، فقال : « خذ هذه المدية فاذبحه بها » فأخذتها فأضجعته وذبحته ، ورأيت كأن يدى أصابها من دمه ، فألقيت المدية وأهويت بيدى إلى الأرض لأمسحها ، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره ، فقلت : ما هذا الصراخ ؟ قالوا : فلان مات فجأة ، فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح .

[٦٩] كرم الصحبة

أمر المأمون بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد ، وبين يديه رجل مُكَبَّل بالحديد ، فلما حضر قال : يا عباس : خذ هذا إليك واستوثق به ولا يفوتنك ، وبكّر به واحذره كل الحذر .

قال العباس : فدعوت جماعة حملوه ، ولم يقدر يتحرك ، فقلت فى نفسى : مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب أن يكون معى إلا فى بيتي ، ثم سألته عن قصته وحاله ، من أين هو ؟ فقال : من دمشق فقلت : جزى الله دمشق وأهلها خيراً ! ، فمن أنت من أهلها ؟ قال : لا تزيّد أن تسألنى ! فقلت له : أتعرف فلاناً ؟ ، فقال : ومن أين عرفت ذلك الرجل ؟ ، فقلت كانت لى قصة معه ، فقال : ما أنا بمعرِّفك خبره أو تعرفني قصتك ! ، فقلت : ويحك كنت مع بعض الولاة بها ، فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدلي فى زنبيل من قصر الحجاج ، وهرب هو وجميع أصحابه ، وهربت فيمن هرب ، فإنى لفي بعض الطريق إذ جماعة يَعْدون خلفي ، فما زلت أحاضرهم [١] حتى مررت على هذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره ، فقلت : أغثنى أغاثك الله ! فقال : لابأس عليك ادخل الدار ، فدخلت فقالت لي امرأته : ادخل الحَجَلة [٢] فدخلتها ، وأتت الرجال خلفى فما شعرت إلا به وهم معه يقولون : هو والله عندك ! فقال : دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبقَ إلا البيت الذى كنت فيه ،

---

(١) أحاضرهم : لعله من الحضر ، وهو العدو

(٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .

فقالوا : هاهنا فصاحت المرأة وانتهرتهم فانصرفوا ، وخرج الرجال فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحَجَلة خائفاً ، فقالت المرأة : إجلس لابأس عليك، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال : لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدَّعَة إن شاء الله تعالى ، فقلت له : جزاك الله عني خيراً ! ثم مازال يعاشرني أحسن المعاشرة وأجملها ، ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر ، إلى أن سكنت الفتنة وهدأت ، فقلت له : أتأذن لي في الخروج لأتعرَّف خبر غلماني ومنزلي ، فعليَّ أن أقف لهم على أثر أو خبر ! فأخذ عليَّ المواثيق بالرجوع إليه ، فخرجت وطلبت غلماني ، فلم أرَ لهم أثراً فرجعت إليه وأعلمته بالخبر ، وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ، ولا يخاطبني بغير الكنية ، ثم قال لي : ما تعتزم ؟ فقلت : قد عزمت على الشخوص إلى بغداد ، فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام ، وقد تفضلت عليّ هذه المدة ، فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسه فقال : يصنع الله عز وجل .

ثم قال لغلام له أسود : أنعِل [1] الفرس الفلاني ، وتقدم إلى مَن في منزله بإعداد السفر ، فقلت في نفسي : ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له ، أو ناحية من النواحي ، فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكدّ ، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السَّحَر وقال : يا أبا فلان ، قم فإن القافلة تخرج الساعة ، وأكره أن تنفرد عنها ، فقلت في نفسي : ما أعطاني شيئاً مما سألته ، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان إليّ خفاتين [2] مقطوعة جدداً ورانات وآلة السفر ، ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ، ثم قدم البغل ، فحمل عليه

---

(١) أنعل الدابة : ألبس حافرها النعل .

(٢) الخفاتين : جمع خفتان ، وهو صدرية تلبس تحت الدرع « فارسي » .

الصناديق وفوقها مِفْرَشان ، ودفع إليّ نسخة بما فى الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم ، وقدم إليّ الفرس الذى كان أنعله بسرجه ولجامه ، وقال لى : اركب ، وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك ، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما فى أمري ، وركب معي فشيعني ، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته ، فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان .

فلما سمع الرجل الحديث قال : قد أتاك الله عز وجل بمَن تريد مكافأته بلا مؤونة عليك ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنا والله ذلك الرجل ، ثم قال لى : ما أثبتّك [1] فتعرّف إليّ ! وأقبل يذكرنى بأشياء يتعرف بها إليّ حتى أثبتّه وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبّلت رأسه ، وقلت له : ما الذى أصارك إلى هذا ؟ فقال : هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التى كانت فى أيامك ، فنُسبت إليّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد ، وحملت إليه، وأمرى عنده غليظ جداً ، وهو قاتلى لا محالة ، وقد خرجت من عند أهلى بلا وصيّة ، وقد تبعنى من عبيدى مَن ينصرف إلى منزلي بخبري ، وهو نازل عند فلان ، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى يحضر فأتقدم إليه بما أريد ، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي ! قال : فقال العباس : يصنع الله ! ثم قال : عليّ بحداد فأتوا به ، فحل قيوده وماكان عليه من أنواع الأنكال ، ودعا بالحجّام فأحضره وأخذ من شعره ثم قال : عليّ بمولاه ، فأنفذ فى طلبه مَن يحضره .

---

(١) ما أثبتّك : أى ما عرفتك حق المعرفة .

قال الرجل : فلما أخذ شعرى أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ، ثم حضر مولاي وقعد يبكي ، فقال العباس : عليّ بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني حتى عدَّ عشراً ، ثم قال : عليَّ من الصناديق والكسوة بكذا ، ومن صناديق الطعام بكذا ، ثم أمر لي بيدره فيها عشرة آلاف درهم ، وكيس فيه خمسة آلاف دينار ، وقال لصاحب شرطته : خذه واعبر به إلى جسر الأنبار .

فقلت له : إن أمرى غليظ ، وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه ، فأردّ واقتل فقال : انجُ بنفسك ودعني أدبّر أمري ، فقلت : والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك فإن احتجت إلى حضورى حضرت ، فقال لصاحب الشرطة : إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا ، فإن سلمت في غداة غد فسبيل المحبة ، وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه ، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم ، وتخلصه حتى تخرجه من بغداد .

قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة ، فصيرني في مكان يثق به ، وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن .

قال العباس : فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رُسُل المأمون في السَّحَر ، وقالوا : أمير المؤمنين يقول : هات الرجل ، فسكت وأتيتُ الدار ، وإذا أمير المؤمنين جالس ، عليه ثيابه أمام فراشه فقال : الرجلَ ! فسكت ، فقال : ويحك ! الرجل ! فقلت يا أمير المؤمنين ، اسمع مني فقال : أُعطى الله عهداً لئن ذكرت أنه هرب لأضربَّن عنقك ، فقلت : لا والله ما هرب ، فاسمع مني حديثي وحديثه ، ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا ، قال : قل .

فقلت : يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا .. وقصصت عليه القصة ، وعرفته أني كنت أريد مكافأته ، فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته ، وعبرت به جسر الأنبار ، وقلت : أنا من سيدى أمير المؤمنين بين أمرين : إما صَفَحَ عني ، وإما قتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه ، فلما سمع المأمون الحديث قال : ويحك ! لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ ! إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة بهذا ! لِمَ لا عرفتني خبره ، فكنت أكافئه عنك ! فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه والله ها هنا قد حلف لا يبرح حتى يعرف سلامتي ، فإن احتيج إلى حضوره حضر ، قال : وهذه والله أعظم من الأولى ، فاذهب إليه وطيّب نفسه ، وسَكِّن روعه ، وتعبر به إليّ حتى أتولى مكافأته عنك .

فصرت إليه وقلت : ليسكن روعك ، إن أمير المؤمنين ، قال : كيت وكيت فقال : الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء غيره ، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ، ثم جئنا .

فلما مثل بين يدى المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه ، وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء ، ثم قال : الطعام ، فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه أعمال دمشق، فاستعفاه ، ثم قال المأمون: عليّ بعشرة أفراس بسروجها ولُجُمها، وعشرة بغال بجميع آلاتها ، وبعشرة بدر ، وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلاتهم ، فدفع ذلك إليه ، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه ، وأوغر [١] . وكتب إلى صاحب البريد أن ينفذ كتبه . وصرفه إليّ . قال العباس : فكان إذ ورد له كتاب فى خريطة يقول لى المأمون : يا عباس ، هذا كتاب صديقك .

---

(١) أوغر جراحه : أى أسقط الحرج .

[٧٠] غيرة محمودة

اختصمت امرأة مع زوجها إلى قاضى الرى عام « ٢٨٦ هـ » فادعت على زوجها بصداق قيمته « ٥٠٠ دينار » قالت : ما سلمه لى .

فأنكر الرجل ذلك فجاءت ببينة تشهد لها بالصداق ، فقال الشهود نريد أن تكشف لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ؟ « والنظر هنا مباح للضرورة » ولكن الزوج عندما رأى إصرارهم على رؤية وجه زوجته رفض ذلك .

وقال : هى صادقة فيما تدعيه !! فأقر بما ادعته صيانة لوجه زوجته من أن ينظر إليه حتى شهود المحكمة !! فلما عرفت المرأة أنه أقر بما ادعته عليه صيانة لوجهها قالت : هو فى حِل من صداقى عليه فى الدنيا والآخرة .

[٧١] إنـــذار [١]

عشت مرحلتي الدراسية الأولى مع والدي .. فى بيئة صالحة اسمع دعاء أمى وأنا عائد من سهري آخر الليل .. أسمع صوت أبى فى صلاته الطويلة .. طالما كنت أقف متعجباً من طولها .. خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد .. أتعجب فى نفسى وأقول .. ما أصبره .. كل يوم هكذا .. شيء عجيب .

لم أكن أعرف أن هذه هى راحة المؤمن وأن هذه هى صلاة الأخيار .. يهبُون من فرشهم لمناجاة الله ..

بعد المرحلة التى قطعتها فى دراستى العسكرية .. ها قد كبرت وكبر معى بعدي عن الله .. على الرغم من النصائح التى أسمعها وتَطرقُ سمعى بين الحين والآخر .

عُينت بعد تخرجى فى مدينة غير مدينتى وتبعد عنها مسافة بعيدة .. ولكن معرفتى الأولى بزملائي فى العمل خففت ألم الغربة على نفسى ..

انقطع عن مسامعى صوت القرآن .. انقطع صوت أمى التى توقظنى للصلاة وتحثنى عليها .. أصبحت أعيش وحيداً .. بعيداً عن الجو الأسرى الذى عشته من قبل .

ثم توجهت للعمل فى مراقبة الطرق السريعة .. وأطراف المدينة للمحافظة على الأمن ومراقبة الطرق ومساعدة المحتاجين .. كان عملي متجدداً وعشت مرتاحاً .. أؤدي عملي بجد وإخلاص .. ولكنى عشت مرحلة متلاطمة الأمواج

---

(١) الزمن القادم . عبد الملك القاسم .

.. تتقاذفنى الحيرة فى كل اتجاه .. لكثرة فراغى .. وقلة معارفى .. وبدأت أشعر بالملل .. لم أجد من يعيننى على دينى .. بل العكس هو الصحيح .. من المشاهد المتكررة فى حياتى العملية الحوادث والمصابين ولكن كان يوماً مميزاً .

فى أثناء عملنا توقفت أنا وزميلى على جانب الطريق .. نتجاذب أطراف الحديث .

فجأة سمعنا صوت ارتطام قوى .. أدرنا أبصارنا .. فإذا بها سيارة مرتطمة بسيارة أخرى كانت قادمة من الاتجاة المقابل .. هببنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين .. حادث لا يكاد يوصف .. شخصان فى السيارة فى حالة خطيرة .. أخرجناهما من السيارة .. ووضعناهما ممدين .

أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية .. الذى وجدناه فارق الحياة .. عدنا للشخصين فإذا هما فى حال الاحتضار .. هب زميلى يلقنهما الشهادة .. قولوا لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .

لكن ألسنتهما ارتفعت بالغناء .. أرهبنى الموقف .. وكان زميلى على عكسى يعرف أحوال الموتى .. أخذ يعيد عليهما الشهادة ..

وقفت منصتاً .. لم أحرك ساكناً شاخص العينين أنظر .. لم أر فى حياتى موقفاً كهذا .. بل قل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة .. أخذ زميلى يردد عليهما كلمة الشهادة .. وهما مستمران فى الغناء ..

لا فائدة .. بدأ صوت الغناء يخفت .. شيئاً فشيئاً .. سكت الأول وتبعه الثانى .. لا حراك .. فارق الدنيا ..

حملناهما إلى السيارة .. وزميلى مطرق لا ينبس ببنت شفه .. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق .. قطع هذا الصمت صوت زميلى فذكر لى حال الموتى

سوء الخاتمة .. وإن الإنسان يختم له إما بخير أو شر .. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان في الدنيا غالباً .. وذكر لي القصص الكثيرة التي رويت في الكتب الإسلامية .. وكيف يختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه ..

قطعنا الطريق إلى المستشفى في الحديث عن الموت والأموات وتكتمل الصورة عندما أتذكر أننا نحمل أمواتاً بجوارنا .. خفت من الموت واتعظت من الحادثة .. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة .. ولكن نسيت هذا الموقف بالتدريج ..

بدأت أعود إلى ما كنت عليه .. وكأني لم أشاهد الرجلين وما كان منهما .. ولكن للحقيقة أصبحت لا أحب الأغاني .. ولا أتلهف عليها كسابق عهدي .. ولعل ذلك مرتبط بسماعي لغناء الرجلين حال احتضارهما ..

من عجائب الأيام .. بعد مدة تزيد عن ستة أشهر .. حصل حادث عجيب .. شخص يسير بسيارته سيراً عادياً .. وتعطلت سيارته .. في أحد الإنفاق المؤدية إلى المدينة .. ترجل من سيارته .. لإصلاح العطل في أحد العجلات .. عندما وقف خلف سيارته .. لكي ينزل العجلة السليمة .. جاءت سيارة مسرعة .. وارتطمت به من الخلف .. سقط مصاباً إصابات بالغة ..

حضرت أنا وزميل آخر غير الأول .. وحملناه معنا في السيارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله .

شاب في مقتبل العمر .. متدين يبدو ذلك من مظهره .. عندما حملناه سمعناه يهمهم .. ولعجلتنا في سرعة حَمله لم نميز ما يقول .. ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا .. سمعنا صوتاً مميزاً ..

إنه يقرأ القرآن .. وبصوت ندي .. سبحان الله لا تقول هذا مصاب .. الدم قد غطى ثيابه .. وتكسرت عظامه .. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت .. استمر يقرأ بصوت جميل .. يرتل القرآن ..

لم أسمع فى حياتى مثل تلك القراءة .. كنت أحدث نفسي وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلي الأول .. خاصة وأن لى سابق خبرة كما أدعى ..

أنصتُ أنا وزميلى لسماع ذلك الصوت الرخيم ..

أحسست أن رعشة سرت فى جسدى .. وبين أضلعي ..

فجأة .. سكت ذلك الصوت .. التفت إلى الخلف .. فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد ..

ثم انحنى رأسه ..

قفزت إلى الخلف ..

لمست يده ..

قلبه ..

أنفاسه ..

لا شيء ..

فارق الحياة ..

نظرت إليه طويلاً .. سقطت دمعة من عينى .. أخفيتها عن زميلي .. ألتفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات .. انطلق زميلي فى البكاء .. أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف أصبح منظرنا داخل السيارة مؤثراً ..

وصلنا المستشفى ..

أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل .. الكثير تأثروا من حادثة موته

وذرفت دموعهم .. أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبل جبينه ..

الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه .

اتصل أحد الموظفين في المستشفى بمنزل المتوفى .. كان المتحدث أخوه .. قال عنه .. أنه يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية .. كان يتفقد الأرامل والأيتام .. والمساكين .. كانت تلك القرية تعرفه ، فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية .. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين .. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها .. وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق .. إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته .. وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية .. وأنني أحتسب إلى الله كل خطوة أخطوها ..

من الغد .. غص المسجد بالمصلين .. صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة .. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة .. أدخلناه في تلك الحفرة الضيقة ..

وجهوا وجهة للقبلة ..

بسم الله وعلى ملة رسول الله ..

بدأنا نهيل عليه التراب ..

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل ..

استقبل أول أيام الآخرة .. واستقبلت أول أيام الدنيا .. تبت مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتني على طاعته وأن يختم لي بخير .. وأن يجعل قبري وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة .. .

[٧٢] قصة الأسد مع سفينة مولى النبي ﷺ

عن محمد بن المنكدر أن سفينة [١] رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتى التى كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحنى اللوح فى أَجَمة فيها الأسد . فأقبل إليّ يريدنى فقلت : يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليّ ، فدفعنى بمنكبه حتى أخرجنى من الأجمة ووضعنى على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعنى ، فكان ذلك آخر عهدى به [١] .

(١) الحاكم ٦٠٦/٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

[٧٣] العهد [1]

عن بعض الصالحين قال : بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على كتفها طفل صغير وهى تنادى : يا كريم يا كريم عهدك القديم ، قال : فقلت لها : ما هذا العهد الذى بينك وبينه ؟ قالت : ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار ، فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ، ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجري على لوح ، ورجل أسود على لوح آخر ، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إليّ وجعل يدفع الماء بيده حتى لصق بى واستوى معنا على اللوح ، وجعل يراودنى عن نفسى ، فقلت : يا عبد الله أما تخاف الله تعالى ، نحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته ، فكيف بمعصيته ؟ ، فقال : دعى عنى هذا ، فوالله لا بدّ لي من هذا الأمر ، قالت : وكان هذا الطفل نائماً فى حجري ، فقرصته قرصة فاستيقظ وبكى ، فقلتُ له : يا عبد الله دعنى أنوم هذا ويكون من الأمر ما قدّره الله علينا ، فمَدّ الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر ، فرمقت السماء بطرفى وقلت : يا من يحول بين المرء وقلبه ، حل بيني وبين هذا الأسود بحولك وقوّتك إنك على كل شيء قدير ، فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ، ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر ، وعصمنى الله منه بحوله وقوته ، وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى ، قالت : وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فقلت فى نفسى : آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره ، فلا فرج لي إلا منه ، فمكثت أربعة

---

١ - قصص وعبر ، أسماء محمود الحنانى .

أيام ، فلما كان يوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان عليّ ، فخرج إليّ منهم ثلاثة نفر على زورق ، فركبت معهم ، فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم ، فلم أتمالك أن ارتميت عليه وقبلت بين عينيه ، وقلت : هذا والله ولدي وقطعة من كبدي ، فقال لى أهل السفينة : مجنونة أم اختلّ عقلك ؟ فقلت : والله ما أنا بمجنونة ولا اختل عقلى ، ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وكذا ، وذكرت لهم القصة إلى آخرها ، فلما سمعوا منى ذلك أطرقوا رؤوسهم وقالوا : يا جارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه ، ونحن أيضاً نخبرك بأمر تتعجبين منه ، بينما نحن نجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها ، وإذا منادٍ ينادى إن لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها وإلا هلكتم ، فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل ، فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا به ، وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم ، قالت: فتابوا عن آخرهم ، فسبحان الله اللطيف الخبير ، جميل العوائد سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد ، وفى هذا المعنى يقول :

يا مدركاً بسريع اللطف والفرج ... عند الشدائد للملهوف ذي الحرج

كلمحة الطرف بل أدنى تغيث ولو ... في قعر بحر وجوف الحوت في اللجج

عوائد منك يا رحمن جارية ... على جميل بذي معروفك البهج

عودتناها وكم عودت من نعم ... وكم بغوثك بعد البؤس مبتهج

فالخير منك نراه غير منقطع ... والشر لسنا نراه غير منفرج

لك المحامد يا محمود احمعها ... هديتنا دين حق غير ذي عوج

[٧٤] قصة الوالي الصالح سعيد بن عامر

زار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم مدينة حمص ، وسأل أهلها : ما تقولون فى سعيد بن عامر واليكم ؟! ، فقال بعض الحاضرين : نشكو منه أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال عمر : أعظم بها ! ، قالوا : ولا يجيب أحداً بليل ، قال عمر وعظيمة !! ، قالوا : وله فى الشهر يومان لا يخرج فيهما إلينا ولا نراه ، قال عظيمة ، قالوا : وأخرى لا حيلة له فيها ولكنها تضايقنا وهى أنه تأخذه إغماءة بين الحين والحين .

فقال عمر : اللهم إنى أعرفه من خير عبادك .. اللهم لا تخيب فيه فراستى ثم سأله ، فقال سعيد بن عامر : أما قولهم : إنى لا أخرج إليهم حتى يتعالى النهار فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب ، إنه ليس لأهلى خادم فأنا أعجن عجينى ثم أدعه حتى يخمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ للضحى ثم أخرج إليهم ، أما قولهم : لا أجيب أحداً بليل ، فإنى جعلت النهار لهم والليل لربى ، وأما قولهم : إن لى يومين فى الشهر لا أخرج فيهما ، فليس لى خادم يغسل لى ثوبى وليس لى ثياب أبدلها ، فأنا أغسل ثوبى ثم أنتظر حتى يجف بعد حين ، وفى آخر النهار أخرج إليهم ، وأما قولهم : إن الغشية تأخذنى بين الحين والحين ، فقد شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعة وهم يقولون له : أتحب أن محمداً مكانك وأنت سليم معافى ؟ فيجيبهم قائلاً : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومعى عافية الدنيا ونعميها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة!! فكلما ذكرت ذلك المشهد الذى رأيته وأنا يومئذ من المشركين ثم تذكرت تركى نصرة خبيب يومها أرتجف خوفاً من عذاب الله ، ويغشانى الذى يغشانى !! فتهلل وجه عمر وقال فى سعادة بعد أن اطمأن إلى طهارة سيرة عامله سعيد : الحمد لله الذى لم يخب فراستى .

[٧٥] المخدرات دمرت أسرتي

قصة واقعية [١]

جاءني وهو حزين وعيناه مملوءتان بالدموع ، فقلت له : قص عليّ ماذا أصابك يا أخي العزيز عسى أن نجد حلاً .

فقال ياشيخ أحمد : قصتي إذا سردتها لن يصدقني أحد بل سيقولون أنها من نسج الخيال أو نسج الأفلام السينمائية ، قلت له : ليس كل الناس لهم عقل واحد بل العقول تتفاوت وإني لمن المصدقين لقصتك .

قال : كنت أعيش مع أبي وأمي وأختين صغيرتين لم تتجاوز أعمارهما سبع سنوات ، وأخي الشقيق لم يتجاوز العاشرة من عمره ، وقد كنا توأمين وهكذا الصغيرتين توأمتين ، وكنا في سعادة وهناء ترفرف علينا المحبة والرحمة والإبتسامة ، وأبي كان موظفاً في إحدى الدوائر الرسمية براتب جيد ، وإذا قبض راتبه ذهبنا إلى السوق لنشترى ما طاب لنا ولذ ، أما أمي فهي امرأة ذات أدب وأخلاق لا يوجد لها وصف ، وكنت وأخي من أوائل الطلبة في المدرسة ، وكانت سعادتي كبيرة حين نجتمع على مائدة الطعام أو نذهب إلى المنتزهات ، وكانت السعادة أمامنا وخلفنا ، نعيش بلا مشاكل أو ما ينغص علينا حياتنا ، ولكن هذه السعادة مرت عليّ وكأنها كابوس مخيف حل بهذه الأسرة الصغيرة وقلبتها رأساً على عقب ، إلى شيء لا يصدقه العقل والوجدان ، ماذا حدث ؟.

أبي انقلب إلى رجل مخيف وحش كاسر لا يعرف الرحمة ولا الشفقة . هذا الأب الذي كان دائماً مبتسماً إنقلب فجأة إلى رجل قاس لا يعرف إلا

---

(١) المخدرات دمرت أسرتي ، أحمد الحصين .

الضرب والصراخ ، وكانت أمى أولى الضحايا ، نالت الكثير من الضرب والسب واللعان ، وكانت صابرة محتسبة ترجو من الله أن يرجع إلى صوابه ، ولكنه إزداد فى شره وأسلوبه الوحشي .

ما الذى غير والدي ، وما هو السر فى تغييره المفاجئ يا ترى ؟!! .

علمنا أن هذا التغير ناتج عن رفقاء السوء الذين قادوا والدي إلى طريق الهاوية والسقوط بعد أن أعطوا له حبة تسمى فى عرفهم « حبة الحب والخيال » وهى حبة الإجرام والدمار والخراب ... إنها حبة المخدرات ، وتطور الأمر حتى بدأ والدى يأخذ حقن الهيروين والمورفين ، بهذا الإجرام ضيع والدي حياته وفصل من الوظيفة وتراكمت الديون علينا ، فباعت أمي المسكينة كل ما تملك من مجوهراتها ، ولكن أبى إزداد فى هذا الطريق ونبت جسده من هذا السم الهالك .

وفى يوم دخل علينا والدي وهو فى حالة سكر شديد وهياج منقطع النظير وهو يصرخ أعطوني مالاً ، أعطونى مالاً ، فقالت أمى لا يوجد عندنا مال ، والبيت كما ترى خاو على عروشه وأنت تريد السم الشيطانى لتهلك بدنك ، هذا حرام ، هذا حرام ، يا رجل إتق الله فى دينك ، إتق الله فى أولادك ، إتق الله فينا ، يقول والدي بأعلى صوته أنا لا أعرف بيتي ولا أولادى أريد مالاً .. أريد مالاً .. واشتد النقاش والصراخ ، فاستل والدى مدية وطعن بها أمي المسكينة الطيبة ، ياله من مشهد فظيع ، مر علينا وكأننا فى حلم ، سقطت أمى مدرجة فى دمائها تتخبط من أثر الطعنة ، أى جريمة إقترفتها أمي ! ، أى ذنب جنت ، وأحيل والدي إلى السجن المؤبد ، وأحيلت الشقيقتان الصغيرتان إلى دار الأيتام فى مدينة بعيدة عن مدينتنا ، وكان نصيبى أنا وأخى دار أيتام كذلك

فى مدينة أخرى .

ومرت السنون والأعوام وكبرنا وكبرت القصة فى قلوبنا وخرجت من دار الأيتام مع أخي ونحن فى عنفوان الشباب ولم نسمع عن الشقيقتين الصغيرتين أين هما وأين نجدهما .

وفى يوم من الأيام ساقتنى قدماي إلى طريق الشيطان ، فتعرفت على امرأة سيئة السمعة وتطورت علاقتنا حتى عرفتنى على فتاة جميلة وصغيرة ولكنها من بنات الهوى كانت حزينة لا تعرف الإبتسامة وكأنها مكرهة على هذا الفعل ، وكنت أريد معرفة خبايا قلبها ، قلت لها :

إنك حزينة وربما أن لك قصة أريد أن أعرفها ، أخذت الفتاة نفساً عميقاً والدموع تتساقط من عينيها قالت : كنت صغيرة أنا وأختى وأخوين شقيقين وأبواى وكنا فى سعادة وحياة آمنة مستقرة ، ولكن أبى مارس طريق الشيطان وانغمس فى المخدرات التى قادته إلى تدمير بيته بعد أن قتل أمى بالسكين ، فصرخ الشاب .. ماذا تقولين .. ماذا تقولين .. أنت هناء ؟!! ، قالت : نعم أنا هناء .. ولكن كيف عرفت إسمي ؟ .. قال : أنت أختى أنا أخوك سمير .. مشهد مؤثر ولكن أن يلتقى الأخ بأخته فى دار الدعارة ويمارس معها الفاحشة فذلك من العجب العجاب .

ولكن من المسئول الأول والأخير عن ضياع هذه الأسرة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه ، إن المجرم ليس والدهم بل المجرم الذى يقتنى المخدرات ويتاجر فيها ، ويروجها بين هؤلاء وهؤلاء .

المجرم الذى يتستر على هؤلاء المجرمين ..

المجرم الذى يضع يده مع هؤلاء ويصافحهم ..

المجرم الذى لا يتعاون مع هيئة مكافحة المخدرات ويرشد عنهم ..

المجرم الذى يسمح بدخول المخدرات فى بلادنا بإسم صديق أو عزيز عليه .

إن المخدرات سلاح تستعمله الدول الإستعمارية بأشكالها لتدمير الأمة الإسلامية وجعلها أمة ضعيفة متهاوية لا تقدر أن تدافع عن نفسها أو أن تجعل بلادها متطورة حضارياً وتكنولوجياً .

وهذه المخدرات التى دمرت هذه الأسرة المسلمة بل ودمرت الكثير من الأسر فى العالم بسبب هذا السم الخطير والذى يقصد به القضاء على أمة الإسلام بأكملها وجعلها ضعيفة مسلوبة الإرادة ذليلة للدول الكبرى الكافرة .

[٧٦] قصة الرؤيا المنقذة [١]

فى عهد ضعف الدولة العباسية وتعدد الدول الإسلامية وتنوع أجناسها وتنافسها وتزاحمها ، وغزو النصارى لبعض الدول الإسلامية وفى عهد الفوضى ، حدث كما رواه المؤرخون سنة ٥٥٧ هـ أن النصارى اتفقوا على أن ينقلوا جسد النبى ﷺ من قبره ، فأرسلوا رجلين منهم دخلا المدينة فى زى المغاربة وادعيا أنهما من أهل الأندلس ، ونزلا فى الناحية التى تلى الحجرة المطهرة من القبلة خارج المسجد عند دار آل عمر ، وهى المعروفة « بدبار العشرة » وقد أزيلت فى توسعة ما حول المسجد أثناء التوسعة الأخيرة للمسجد ، وقد أظهر هذان النصرانيان التقوى والصلاح بالصلة والبر والصلاة وزيارة البقيع وقبر الرسول ﷺ ، وهكذا كان ظاهرهما ، أما الباطن فقد كانا يحفران سرداباً ينتهى للحجرة المطهرة ، وصارا ينقلان التراب قليلاً قليلاً فتارة يرميانه فى بئر لديهما وتارة ينقلانه فى محفظة من جلد يوهمان الناس بزيارة البقيع ويرميان التراب فيه ، ومكثا على هذه الحالة مدة حتى توهما أنهما قربا من غايتهما ووصلا إلى قرب القبر الشريف ، وأخذ المجرمان يفكران فى كيفية نقل الجسد المطهر ، وظنا أن ذلك قريب المنال ، ولكن الله كان لهما بالمرصاد ، فقد رأى السلطان نور الدين محمد بن زنكي رؤية ، فقد رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول يا محمود أنقذنى من هذين ، فاستيقظ منزعجاً وصلى ونام ، فرأى المنام بعينه ثلاث مرات ، فلما استيقظ فى الثالثة

---

(١) قصص عظيمة ، للجار الله .

دعا وزيره جمال الدين الموصلي ، وكان وزيراً عاقلاً ، ديناً ورعاً ، وقص عليه الرؤيا ، فقال له : هذا أمر حدث بالمدينة المنورة ، اخرج الآن للمدينة النبوية ، واكتم ما رأيت ، فتجهز بقية ليلته وخرج على رواحل فى عشرين رجلاً ومعه الوزير ومال كثير « وقال بعضهم معه ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك » ، وقطع المسافة من الشام إلى المدينة فى ستة عشر يوماً ، وصلى فى الروضه وزار ثم جلس لا يدرى ماذا يصنع ، فقال الوزير أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال : نعم ، فقال الوزير لأهل المدينة وقد اجتمعوا فى المسجد : إن السلطان معه أموال كثيرة للصدقة فاكتبوا الذين عندكم من المحتاجين وأحضروهم وكل من حضر يأخذ نصيبه ، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون فلم يجد فيهم أحداً صفته صفة الشخصين اللذين رآهما فى المنام .

فقال السلطان : هل بقي أحد لم يأخذ ، فقالوا : لم يبق أحد إلا رجلان مغربيان لا يتناولان شيئاً وهما صالحان ، فقال : عليّ بهما ، فأحضرا ، فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما ﷺ فى المنام ، فقال لهما : من أين أنتما ؟ فقالا : إننا من المغرب جئنا حاجين واخترنا المجاورة هذا العام ، فقل لهما أصدقاني وقررهما فأصرا على كلامهما ، فتركهما وذهب إلى محل سكناهما مع بعض أهل المدينة فوجدوا مالاً كثيراً ومصحفين وكتباً فوق الرف ، ولم يجدوا شيئاً آخر ، وجعل السلطان يطوف بالمحل ثم ألهم الله السلطان نور الدين فرفع خسفه فى المحل فوجد تحتها لوحاً من الخشب فرفعه فوجد السرداب محفوراً ومتجهاً للحجرة الشريفة ، ومخترقاً جدار المسجد ، فذهل أهل المدنية وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى ، فضربهما السلطان ضرباً مبرحاً شديداً فاعترفا أنهما نصرانيان بعثهما ملوك النصارى فى زي حجاج مغاربة وأملوهما

بأموال عظيمة ، وأمروهما بالتحيل فى إخراج النبى الكريم ﷺ من قبره ونقله إلى بلادهم ، فلما ظهر حالهما واعترفا بجريمتهما أمر السلطان بضرب عنقهما عند الشباك شرقي الحجرة الشريفة ، ثم أحرقا آخر النهار بالنار ، ثم أمر السلطان نور الدين بحفر خندق حول الحجرة إلى الماء وأمر بإحضار رصاص كثير وأذيب وصب فى الخندق حتى ملأه ثم عاد إلى الشام [١] .

والله أعلم .

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة . علىّ حافظ .